الدَّرس (٢٦)،

تطْرِيزُ

الشيخ صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

حفظه الله تعالى

علىٰ

حواشي العقيدة الواسطية

للعلامة محمد بن عبد العزيز ابن مانع

رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريع

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

أخي الطالب إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة
attafreegh@gmail.com

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمْـدُ لله رَبِّنا، وأشْهَـدُ أن لَا إلـهَ إلَّا اللهُ وحْـدَه لا شَريكَ لَه، وأَشْهَـدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُه وَرَسُولُه.

أمَّـا بَـعْدُ..

فهٰذا هُو الدَّرسُ **السادس والعشرون** مِن بَرنامَجِ (الدَّرسِ الواحِـدِ) **الخـامس**، والكِتَـابُ المقْـرُوءُ فيـهِ هوَ: **(حاشية العقيدة الواسطية) للعلامة ابن مانع** رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ.

وقَبلَ الشُّروعِ في إقرائِه لا بُدَّ مِن ذِكرِ مُقدِّمتَينِ اثنَـتَينِ:

المقدِّمة الأولىٰ: التَّعريف بالمصنِّف، وتنتظم في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأوَّل: جرُّ نسبه: هو الشَّيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن محمَّد التميمـي، يُكنـىٰ بـأبي عبد الله ويُعرف ابنِ مانع وبِمكنسة المذهب لسعة اطلاعه علىٰ فروع الفقه في مذهب الإمام أحمد.

المقصد الثَّاني: تاريخ مولِدِه، وُلد رَحِمَهُ اللهُ علىٰ رأس القرن ثلاثمائة بعد ألف (١٣٠٠).

المقصد الثالث: تاريخُ وفاته: توفِّي رَحِمَهُ اللهُ في السَّابع عشر من شهر رجب سنة خمسٍ وثمـانين بعـد الثلاثمائة والألف (١٣٨٥). وله من العمر خمس وثمانون سنة فـرَحِمَهُ اللهُ **رحمة واسعة.**

المقدِّمة الثَّانية: التعريف بالمُصَنَّف: وتنتظِم في ثلاثة مقاصد أيضًا:

المقصد الأوَّل: تحقيق عُنوانه: طبع هٰذا الكتاب قديما كحواشٍ للعقيدة الواسطية من غيـر إثبـات اسم لهٰذه الحواشي، وكان ذلك في حياة المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ، ثم أُعيد طبعه حديثًا واختار ناشره تسميته باسـم «حاشية العلَّامة محمد بن عبد العزيز بـن مـانع علـىٰ العقيـدة الواسـطية»، والـذي تـدلُّ عليـه عبـارات المصنِّف في أثناء الكتاب هو أن يسمَّىٰ «حواشي العقيدة الواسطية».

المقصد الثَّاني: بيانُ موضوعه: موضـوع هٰـذا الكتـاب هـو تعليقـات مـن رأس القلـم علـىٰ وجـه الاختصار علىٰ أمَّهات المسائل المحتاجة للتَّعليق من كتاب «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ.

المقصد الثَّالث: توضيح منهجه: علَّق المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ جُمل العقيدة الواسـطية المتقـدِّم ذكرها متابعًا الوضع الذي ألفت عليه، وتميَّز تعليقه الذي علقه بحُسن الاختيار وجـودة الانتخـاب فيمـا يبتدئه قائلا، وما يذكره ناقلا، وازدانت حواشيه بما عُرفت غلبته علىٰ المصـنف رَحِمَهُ اللهُ مـن العنايـة بالنَّقـل عن المنظومات العلمية، ومن جُملتها ممَّا لا يوجد عند غيره الأبيات المنتخبة من نظم العقيدة الواسـطية لابن عدوان أحد علماء نجد.

هل أحد منكم يعرف نسخة نظم ابن عدوان؟

فيه نسخة نادرة اللي يذهب ويأتي بها إن شاء الله تعالىٰ، توجد نسخه من هٰذا النظم لا أعلم لها ثانيـة في العالم مخطوطـة في مكتبـة الإسـكندرية العامـة، الـذي يـذهب إلـىٰ هٰـذه الكتبـة يصـوِّرها لـي هٰـذه المخطوطة وجزاه الله خير يفيدنا بها، لكنها موجودة هناك قطعا، فقد رأيتهـا في الفهـارس الـذي انتخبتهـا منها.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته ووفق من أراد سعادته لطاعته وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحابته.

أما بعد.. فإن «العقيدة الواسطية» تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية التي ألفها إجابة لطلب القاضي رضي الدين الواسطي من أحسن ما ألفه الأئمة في بيان معتقد أهل السنة، فليس في يد الطلبة اليوم أحسن منها ولا مثلها، فإنه رَحِمَهُ اللهُ بين فيها القول الحق في مسألة القرآن وأنه كلام الله منزل غير مخلوق، وأن ألفاظه وحروفه ومعانيه عين كلام الله، وأن الله يتكلم بمشيئته وإرادته.

كما أنه رَحِمَهُ اللهُ بين القول الصحيح في وجوب إثبات الصفات الإلهية كاستواء الله علىٰ عرشه، وعلوه علىٰ خلقه، ونزوله إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة، ومجيئه يوم القيامة، ونظر المؤمنين إليه سبحانه في عرصات القيامة وبعد دخولهم الجنة.

ووضح معنىٰ قرب الله من عباده ومعنىٰ كونه معهم أينما كانوا، وبيَّن أن ذلك كله حق ثابت علىٰ ما يليق بعظمة الله تعالىٰ.

وذكر قول أهل الحق في الإيمان بالقدر، ورد قول المعتزلة والجبرية وبين أُصول أهل السنة التي بنوا عليها عقائدهم وأعمالهم.. إلىٰ غير ذلك من قواعد العقائد المؤيدة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فهي جديرة بالاعتناء بها تحفظًا ودرسًا ومطالعة.

فلهٰذا علقت عليها حواش تفصل مجملها وتوضح مشكلها وتسهل فهمها لقرائها، وقد امتازت هٰذه الطبعة الأخيرة بزيادات لم توجد في الطبعات التي قبلها لاسيما ما ذكرناه من نظم عبد العزيز بن عدوان النجدي أحد علماء الوشم رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، فإنه نظم هٰذه العقيدة من الطويل جزاه الله خيرًا وأثابه الجنة بمنه تعالىٰ وكرمه.

وسمت همة الفاضل النجيب الشيخ عمر عبد الجبار لطبعها فجزاه الله خيرًا ووفقه لنشر أمثالها من مؤلفات أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلىٰ يوم القيامة كما أخبر به النبي الصادق المصدوق ﷺ تسليمًا كثيرًا.

قاله بلسانه وكتبه ببنانه

محمد بن عبد العزيز بن مانع

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هنا منشأ تأليف «العقيدة الواسطية» وهو أن أبا العباس ابن تيمية ألفها استجابة لطلب (القاضي رضي الدين الواسطي) أحد قضاة الشافعية الذي اتفق خروجه للحج مارا بالشام فلقي شيخ الإسلام وسأله أن يكتب له عقيدة يتخذها هو وأهل بيته نبراسا ومشعل هداية، فكتب

له شيخ الإسلام بعد إلحاح القاضي رضي الدين الواسطي، كتب له هٰذه العقيدة بعد صلاة العصر، واشتهرت نسبتها بالواسطية نسبة إلىٰ القاضي المذكور.

ووقع ثناء العلماء عليها (فهي معتقد سلفي جيد) كما ذكر ذلك الذهبي وابن كثير وابن رجب ممن نقلنا كلامهم في درس «التعليقات علىٰ العقيدة الواسطية للعلامة ابن العثيمين» وهو أحد دروس برنامج اليوم الواحد.

وبين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وجوه ما استجاده فيها من بيان جملة من مهمات الاعتقاد وقواعده المؤيدة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وأن هٰذه العقيدة لذلك جديرة بالاعتناء تحفظا ودرسا ومطالعة.

ومن هنا عظمت عناية علماء قطرنا بإقراء هٰذه العقيدة بما امتازت به جمع النصوص الشرعية من القرآن والسنة بأبواب الاعتقاد، بحيث كان ما ذُكر فيها من الدلائل أضعاف أضعاف ما تكلَّم به مصنفها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

فلهٰذا علق عليها العلامة ابن مانع هٰذه الحواشي (تفصل مجملها وتوضح مشكلها وتسهل فهمها لقرائها) وازدانت هٰذه الحواشي كما سبق بما أختاره رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من نظم عبد العزيز بن عدوان النجدي لهٰذه العقيدة الواسطية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ [١]

(١) قوله: (بِسْمِ الله)، الجار والمجرور متعلقان بمحذوف، والمختار كونه فعلًا خاصًّا متأخرًا والتقدير: أؤلف حال كوني مستعينًا بذكر الله متبركًا به، و(لفظ الجلالة) دال علىٰ الصفة القائمة به تعالىٰ وهي الإلهية قال ابن عباس: الله ذو الإلهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين.=

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من مسائل البسملة ما اشتهر في تعين متعلَّق الجار والمجرور، فإن أهل العلم اختلفوا فيه علىٰ أقول أصحها: هو ما اختاره ابو عبد الله ابن القيم في «بدائع الفوائد» وتبعه المصنف هنا: أن المختار هو كونه: (فعلًا خاصًّا متأخرًا)، فالمتعلق بالجار والمجرور موصوف هنا بثلاث صفات:

أولها: كونه (فعلًا)، لأن الأصل في الأعمال الفعل.

والثاني: كونه (خاصًّا)، ليناسب المحل، والمحل هنا التصنيف والتأليف فينبغي أن يقدر: أؤلف.

والثالث: كونه (متأخرًا)، تعظيما لاسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتحقيقا لاختصاص الاستعانة به.

فتقدير الكلام حين إذ يكون: **باسم الله أؤلف**، وهٰذا التقدير هو الذي ذكر المصنف مشروحا لا ملفوظا بقوله: أؤلف حال كوني مستعينا بذكر الله متبركا به، وإلا فإن التقدير علىٰ هٰذا التحقيق هو أن يكون: باسم الله أؤلف.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن ((لفظ الجلالة) دال علىٰ الصفة القائمة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهي الإلهية)، وذكر أثرا مشهورا عن ابن عباس أخرجه ابن جرير وغيره بإسناد ضعيف عنه أنه قال: (الله ذو الإلوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين)، إلا أن هٰذا الأثر مقطوع بمعناه، فإن كل اسم من أسماء ربنا عَزَّوَجَلَّ دال علىٰ صفة والصفة التي ضمنها اسم الله هو الألوهية، فيكون الله عَزَّوَجَلَّ ذو الإلهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين.

وسبق أن بينا أن تعبير المتأخرين كثيرا عن اسم الله بقولهم: (ولفظ الجلالة)، بأنه متعقب من أوجه عدة ليس هٰذا محل بيانها.

واستصوبنا ما جاء في القرآن الكريم من تسميته بـ(الاسم الأحسن) لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، فإذا أريد الإشارة إلىٰ واحد منها فيقال فيها: (الاسم الأحسن) ويذكر ذلك الاسم، فكان الأولىٰ للمصنف أن يقول: والاسم الأحسن دال علىٰ الصفة القائمة. إشارة إلىٰ اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

= قوله: (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) صفتان لله؛ فـ(الرَّحمٰن) دال على الصفة القائمة به سبحانه، و(الرحيم) دال علىٰ تعلقها بالمرحوم، يظهر ذلك بتأمل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: ((الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) صفتان لله) يعني: باعتبار الوضع اللغوي، لا باعتبار الحقيقة الشرعية، فإن الوضع اللغوي يقتضي كونهما من جملة الوصف، إذ الرَّحمٰن والرحيم صفة من صفات الر ب باعتبار الوضع العربي في لسانهم بمجيئهما علىٰ وصف المبالغة:

الأول: علىٰ زنة (فعلان).

والثاني: علىٰ زنة (فعيل).

وأما باعتبار الحقيقة الشرعية فإنهما: يُذكران بكونهما من أسماء الله، فكلام المصنف صحيح لكن باعتبار الوضع اللغوي.

وأما اباعتبار الحقيقة الشرعية فالحقيقة الشرعية فرَّقت بين الأسماء والصفات، فأشير إلىٰ الاسماء بمثل قوله تعالىٰ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، وأشير إلىٰ الصفات بمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠]، أي: الوصف الأعلىٰ كما فسره به ابن عباس واختاره ابن القيم.

وإذا علم هٰذا فقد ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ فرقا بين هذين الاسمين تبع فيه ما ذكره ابن القيم في «بدائع الفوائد» وهو:

أن الرَّحمٰن: دال علىٰ صفة الرحمة حال تعلقها بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهٰذا معنىٰ (علىٰ الصفة القائمة به سبحانه) يعني: بالنظر إلىٰ صفة الرحمة حال تعالقها به عَزَّ وَجَلَّ.

والرحيم : اسم دال علىٰ صفة الرَّحمة حال تعلُّقها بالمرحومين، ولذلك إذا ذكر اسم (الرحيم) وقع في سياق دال علىٰ التعلق بالمرحومين كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة]، في آي أخر لا تخرج عن هٰذا المعنىٰ.

وهٰذا الفرق الذي اختاره ابن القيم ثم تبعه جماعة من أهل العلم منهم المصنف هو الذي يدل عليه تتبع اللفظ القرآني بالرَّحمٰن والرحيم.

الحمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا ،

قوله:(الحمْدُ للهِ)؛ (الحمد) نقيض الذم وهو الثناء بالقول علىٰ المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا علىٰ المتعدية ويكون باللسان والجنان والأركان، كما قال الشاعر:

أفـــادتكم النعمـــاءَ منـــي ثلاثـــة   يـدي ولسـاني والضـميرُ المحجّبـا

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا تعريف الحمد وفسره بما اشتهر عند المتأخرين: بأنه (الثناء بالقول علىٰ المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية).

وسبق أن ذكرنا أنَّ هٰذا التعريف المشهور مخالف لما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث ابي هريرة من أن الحمد لا يقابل الثناء، فإن في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالىٰ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال عبدي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله تعالىٰ: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالىٰ: أثنىٰ علي عبدي» فجعل الثناء خبرا علىٰ قراءته ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وليس خبرا عن قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والصحيح أن الحمد: هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه. كما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في «بدائع الفوائد ».

وأما **الثناء فهو: تكرار المحامد**، فإذا كررت المحامد قيل: إن ذلك الثناء.

وبهٰذا لما كرر المحامد في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعد قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سميت ذلك ثناء، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: «أثنىٰ علي عبدي»، كما بين هٰذا ابن القيم في فصل نافع في كتابه «بدائع الفوائد».

ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ الفرق بين (الحمد) و(الشكر) من وجهين اثنين:

أحدهما: أن الحمد يتعلق بالصفات اللازمة والمتعدية. وأما الشكر فلا يكون إلا علىٰ الصفات المتعدية . فيحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ علمه من صفاته اللازمة، وعلىٰ إحسانه من صفاته المتعدية، ويشكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ الصفات المتعدية.

الفرق الثاني: هو أن الحمد يكون باللسان والجنان. وأما الشكر فإنه يكون باللسان والجنان والأركان.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

قوله: (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصح ما قيل في صلاة الله علىٰ عبده، هو ما ذكره البخاري في «صحيحه» عن أبي العالية قال: (صلاة الله علىٰ رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة).

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان معنىٰ (صلاة الله علىٰ عبده) مختارًا ما اختاره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وغيره من أنَّ أصح ما قيل فيها ما فسره به أبو العالية الرياحي أحد التابعين إذ قال: (صلاة الله علىٰ رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة).

وهٰذا الذي قاله أبو العالية يحتاج إلىٰ دليل صريح من وقوع ذلك الخبر، ومثل هٰذا يعد عند أهل العلم من جملة المراسيل، لأن هٰذا خبر لا يقال من قبل الرأي، ففي الاعتداد به نظر.

ولم يثبت في حديث صحيح معنىٰ لصلاة علىٰ النبي ﷺ فوجب الرجوع إلىٰ لسان العرب، فإذا علم معنىٰ الصلاة في لسان العرب عند ذلك أمكن تفسير معنىٰ الصلاة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ رسوله ﷺ.

وسبق أن ذكرنا غير مرة أن الصحيح أن الصلاة في لسان العرب هي: **الحنو والعطف**. كما أختاره جماعة من المحققين منهم السهيلي وابن القيم وابن هشام.

أما التفسير المعروف لها في لسان العرب بأن الصلاة هي: الدعاء،فهٰذا قول ضعيف من أربعة أوجه بسطها ابن القيم في «بدائع الفوائد»، وحينئذ نقول: إن صلاة الله علىٰ عبده هي: حنوه وعطفه عليه، وحنو الله وعطفه علىٰ عبده ورسوله محمد ﷺ له مظاهر كثيرة، يكفي منها ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الضحىٰ إذ قال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الضحىٰ] مع نظائر هؤلاء الآيات من هٰذه السورة.

مسألة الواسطية في العقيدة

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ -أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ-:

الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

قوله: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ)، قال الراغب: تحريف الشيء إمالته كتحريف القلم. وتحريف الكلام: أن تجعله علىٰ حرف من الاحتمال يمكن حمله علىٰ الوجهين. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦].

وصفات الله دالة علىٰ معان قائمة بذات الرب جل جلاله لا تحتمل غير ذلك فيجب الإيمان والتصديق بها، وإثباتها لله إثباتًا بلا تمثيل لأنه ليس كمثله شيء، وتنزيهًا له تعالىٰ عن مشابهة خلقه بلا تعطيل.

والتعطيل جحد الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذاته تعالىٰ كما هو قول المعتزلة والجهمية.

وكذلك لا تكيف صفاته كما لا تكيف ذاته ولا تمثل ولا تشبه بصفات المخلوقين؛ لأنه ليس له كفء ولا مثيل، ولا نظير، ويرحم الله ابن القيم حيث قال:

لسنا نشبه وصفَه بصفاتنا ... إن المشبِّه عابدُ الأوثان

كلاّ ولا نُخليه من أوصافه ... إن المعطِّل عابدُ البهتان

من شبَّه الله العظيم بخلقه ... فهو الشبيه لمشْركٍ نصراني

أوعطَّل الرَّحمٰن من أوصافه ... فهو الكفور وليس ذا الإيمان

ذكر الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هٰذه الجملة بيان مسألتين اثنيتن:

أولاهما: بيان حقيقة التحريف.

والثانية: بيان حقيقة التعطيل.

فأشار إلىٰ الأولىٰ بما نقله عن الراغب الأصفهاني في كتاب «المفردات».

والمراد بالتحريف المنفي في باب الصفات: تغير دليل الصفة أو معناها. فإذا حُوِّل دليل الصفة عن وجهه أو حُوّل معناها المعروف بلسان العرب عن وجهه قيل في ذلك: تحريف.

فمن الأول مثلا: من يقرأ: (وكلم اللهَ موسىٰ تكليما) ليجعل التكليم صادرا من موسىٰ، الآية: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[النساء] بصدور الكلام من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيقرؤها المحرف بنصب الاسم الأحسن (الله) ليجعل موسىٰ متكلما واللهَ سميعًا.

ومن الثاني وهو تغير معناها المعروف في لسان العرب: مَن يفسر الاستواء بالاستيلاء، فإن العرب لا

تعرف هٰذا المعنىٰ في كلامها، وإنما تعرف أربعة معان سيأتي ذكرها فيما يستقبل من كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

وأما **المسألة الثانية**: وهي بيان حقيقة التعطيل.

فأشار إليها بقوله: (جحد الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذاته تعالىٰ).

والموافق للوضع اللغوي لتعطيل أن يقال: **إن التعطيل هو: إخلاء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من صفاته**؛ لأن حقيقة التعطيل هي التخلية في لسان العرب كقوله تعالىٰ: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥﴾ [الحج]، يعني: مخلاة مهملة، فيكون المعنىٰ التعطيل المراد في هٰذا المحل: إخلاء الله عَزَّ وَجَلَّ من صفاته.

ثم أشار المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أشارة مجملة إلىٰ ما يتبع التحريف والتعطيل من المنفيات في هٰذا الباب وهما: التكيف والتمثيل فقال: (وكذلك لا تكيف صفاته كما لا تكيف ذاته ولا تمثل ولا تشبه بصفات المخلوقين)، وسبق أن ذكرنا أن:

التكيف هو: تعيين كنه الصفة.

وأن **التمثيل هو: تعين كنه الصفة بذكر مماثل لها.**

وتقدم تحرير هٰذه العبارات مرارا وآخرهن في درس «التعليقات علىٰ العقيدة الواسطية ».

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّورىٰ]. فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وآيَاتِهِ.

قوله: (وَلاَ يُلْحِدُونَ) الإلحاد:

- إما يكون بجحدها وإنكارها.
- وإما بجحد معانيها وتعطيلها.
- وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات.
- وإما بجعلها اسمًا لهٰذه المخلوقات كإلحاد أهل الإتحاد.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا تفسر أصل من أصول أهل السنة في هٰذا الباب هو ترك الإلحاد في أسمائه وآياته عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف:١٨٠].

والإلحاد هو: الميل بها عما يجب فيها.

وقد ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ جملة من مواقع الإلحاد التي وقعت في كلام الناس ، فعد منها أربعا تبعا لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

وقد تنوع كلام ابن القيم في تَعْداد أنواع الإلحاد في الواقع في أسماء الله وصفاته، وأحسن ما ذكره من التقاسيم هو ما ذكره في «الصواعق المرسلة» و «الكافية الشافية» من أن الإلحاد ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: جحد معانيها التي تعرفها العرب في لسانها.

الثاني: ترك تسمية الله بها.

والثالث: وقوع إشراك غير الله عَزَّوَجَلَّ معه فيها.

وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ.

قوله: (وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ) لأن الصفة تابعة للموصوف، فكما أن الموصوف سبحانه لا تعلم كيفية ذاته، فكذلك لا تعلم كيفية صفاته مع أنها ثابتة في نفس الأمر.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان أصلٍ من أصول هٰذا الباب عند أهل السنة والجماعة مذكورٍ في كلام شيخ الإسلام في قوله: (وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ)، وبيَّن وجه امتناع تمثيل الصفة بأن الصفة تابعة للموصوف؛ لكنه فسر التمثيل بعد ذلك بما يجعله مطابقا للكيفية فقال: (فكما أن الموصوف سبحانه لا تعلم كيفية ذاته، فكذلك لا تعلم كيفية صفاته مع أنها ثابتة في نفس الأمر)، وتقدم أن التكييف والتمثيل شيء آخر، وهٰذه الجملة متعلقة بالتمثيل دون التكييف.

وقد سبق أن عرفت أن التكييف هو: أن تعيين كنه الصفة الإلهية.

وأما التمثيل فهو: تعين كنه الصفة الإلهية بذكر مماثل لها.

وهٰذا هو الذي يتسلط عليه النفي في قول شيخ الإسلام: (وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ) والمراد بالنفي هنا: نفي التمثيل.

نعم إذا نفي التمثيل اندراج فيه نفي التكييف؛ لأن التمثيل تكييف وزيادة.

والمقصود أن إيضاح العبارة يكون بمعناها الذي وضعت له، ثم إذا قبلت اندراج معنىٰ ثان فيها نبه علىٰ ذلك كما أشرنا إليه.

والعلة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في امتناع التكييف والتمثيل هي عدم علمنا بما عليه ذات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكما أنه امتنع علمنا بذات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحجب عنا معرفة مثله وكيفه، فكذلك حجب عنا معرفة مثل صفاته وكيفيتها،لأن (القول في الصفات فرع في الذات) كما ذكره الخطابي في «معالم السنن» والخطيب البغدادي في قاعدته المشهورة في «صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»، فإذا امتنع العلم بذات الله امتنع تبعا لذلك العلم بصفاته، إلا ما أرشدنا الله عَزَّوَجَلَّ إليه أو أخبرنا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خبرها، كما علمنا أن من أسماء الله (الرحمن والرحيم والعليم والحليم) وعلمنا من صفات الله (الرحمة والعلم والحلم).

لأَنَّهُ ﷻ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ.

قوله: (لاَ سَمِيَّ لَهُ) أي مثيلًا ونظيرًا يستحق اسمه وموصوفًا يستحق صفته علىٰ التحقيق، وليس المعنىٰ: هل نجد من يتسمىٰ باسمه إذ كان كثير من أسمائه قد يطلق علىٰ غيره؛ لكن ليس معناه إذا استعمل فيه كان معناه كما إذا استعمل في غيره.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان جملة من كلام شيخ الإسلام هي قوله: (لاَ سَمِيَّ لَهُ) وهٰذه الجملة يحتمل فيها أن النفي معنيين اثنين:

الأول: نفي وجود من يُسمىٰ باسم من أسمائه.

والثاني: نفي وجود استحقاق من يسمىٰ باسم من أسمائه.

فأما الأول: فإن كثيرا من أسماء الله ﷻ قد تطلق علىٰ غيره، فإن الله عَزَّوَجَلَّ رؤوف رحيم، وقد سمىٰ نبيه ﷺ بهذين الاسمين كما في آخر سورة التوبة إذ قال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾، وهو ﷻ سميع بصير كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، وقد سمىٰ عبده سميعا بصيرا كما قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾[الإنسان]، فعُلم أنه لا محيد عن القول أن النفي المراد هنا مسلَّط علىٰ المعنىٰ الثاني.

فالمراد نفي وجود أحد يستحق من معنىٰ الاسم ما يستحقه الله ﷻ، فكما أن الله سميع بصير والمخلوق سميع بصير، فإن ما يستحقه الله من السمع والبصر فوق ما يصلح للمخلوق من السمع والبصر.

ولهٰذا فإننا نقول غير مرة في قاعدة تبيِّن هٰذه المعاني نقول: **إن للخالق كمالًا يليق بجلاله، وإن للمخلوق كمالا يناسب حاله**. فكمال الرب ﷻ يقع علىٰ الوجه اللائق به ﷻ، وأما كمال المخلوق فهو كمال يناسب حاله، فليس سمع الإنسان كسمع الله ولا بصر الإنسان كبصر الله، فعُلم حينئذ أنه (لاَ سَمِيَّ لَهُ) بمعنىٰ: لا نظير له في ما يستحق من صفة واسم ﷻ.

وَلاَ نِدَّ لهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ.

قوله: (وَلاَ نِدَّ لهُ)، الأنداد: الأمثال والنظراء، فكل من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله رغبة فيه أو رهبة منه؛ فقد اتخذه ندًا لله؛ لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره، وذلك كحال عباد الأموات الذين يستعينون بهم وينذرون لهم ويحلفون بأسمائهم.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان جملة أخرىٰ من كلام شيخ الإسلام مما تسلط عليه النفي وهو قوله: (وَلاَ نِدَّ لهُ) ثم فسر (الأنداد): بـ(الأمثال والنظراء)، والذي يدل عليه تتبع كلام العرب في تفسير (الند) أن **الند** عندهم هو: **المثل المخالف**، فلابد من اجتماع شيئين في حقيقة الند:

أحدهما: المثلية .

والآخر: المخالفة .

فإذا اجتمعا هٰذان الوصفان قيل: فلان ند فلان، والله ﷻ لا ند له، فلا يوجد أبدا مثل مخالف له يتصف بما يتصف به الرب ﷻ من صفات الكمال ونعوت الجلال.

فكل من صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ لأحد من المعبودات فقد جعل هٰذا المعبود ندا لرب ﷻ، لكن هٰذه الندية مدعاة لا حقيقية؛ لأنه لا يكون أحد بمنزلة المثل المخالف لله عَزَّوَجَلَّ، وإنما سميت المعبودات التي تعبد من دون الله أندادا لا بالنظر إلىٰ حقيقة الأمر، ولكن بالنظر إلىٰ دعوىٰ عبادها، فإن عبّادها يرون فيها المثلية المخالفة، وأما بالنسبة إلىٰ حقيقة الأمر، فإن هٰذه المعبودات لا تقع موقع المثل المخالف لله ﷻ.

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ «الإِخْلَاصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة]. أَيْ لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ.

قوله: (لاَ يُكْرِثُهُ) قال في «القاموس وشرحه»: كرثه الأمر والغم يُكرثه بالكسر ويكرثه بالضم اشتد عليه وبلغ منه المشقة، قال: وكل ما أثقلك فقد كرثك، قال الأصمعي: لا يقال: كَرَثَه، وإنما يقال: أكرثه.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان الجملة المذكورة في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ إذ قال: (لاَ يُكْرِثُهُ وَلاَ يُثْقِلُهُ)، ونقل في بيان معناها ما ذكره صاحب «القاموس» وهو الفيروز الآبادي مقرونا ممزوجا بكلام صحاب شرح القاموس وهو الزَّبيدي واسم شرحه «تاج العروس».

وإذا أطلق اسم «شرح القاموس» كان منصرفا إلىٰ هٰذا الكتاب، فبيَّن أن معنىٰ لا يكرثه قال: (كرثه الأمر والغم يُكرثه بالكسر ويكرثه بالضم اشتد عليه وبلغ منه المشقة، قال: وكل ما أثقلك فقد كرثك)، ثم نقل عن الأصمعي التنبيه إلا أن فعله يكون أكرثَه ولا يقال: كَرَثَه، فيقال: أكرثه الشيء ولا يقال: كرثه الشيء.

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد]، وَقَوْلُه سُبْحَانَهُ: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾[سبإ:٢]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾(١)، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذَّاريات].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورى]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[النِّساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[الكهف:٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾[المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[الأنعام:١٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾[التَّوبة]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[الصَّف]، وَقَالَ تعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾[آل عمران:٣١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾(٢)

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[النمل]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً

---

(١) سورة: فاطر، الآية (١١)، فصلت، الآية (٤٧).
(٢) سورة: المائدة، الآية (١١٩)، التَّوبة، الآية (١٠٠)، المجادلة، الآية (٢٢)، البيِّنة، الآية (٨).

وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب]، وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء:٩٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[محمَّد]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف:٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[التوبة:٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[الصَّف]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[البقرة:٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن]، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٧٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور:٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[القمر]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾[آل عمران:١٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزُّخرف]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

قوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، قال شيخ الإسلام بعد كلام سبق: وهٰذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه، لو قال في قوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ كيف يسمع وكيف يرىٰ؟ لقلنا: السمع والرؤية معلوم والكيف مجهول، ولو قال: كيف كلم موسىٰ تكليمًا؟ لقلنا: التكليم معلوم والكيف غير معلوم. اهـ

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ منقولا عن صاحب الأصل وهو شيخ الإسلام ابن تيمية إذ قال: (وهٰذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه، لو قال في

---

(١) سورة: يونس، الآية (١٠٧)، الأحقاف، الآية (٨).

قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ كيف يسمع وكيف يرىٰ؟ لقلنا: السمع والرؤية معلوم والكيف مجهول، ولو قال: كيف كلم موسىٰ تكليمًا؟ لقلنا: التكليم معلوم والكيف غير معلوم) انتهىٰ كلامه

وهٰذا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في هٰذه الآية من سورة طه هو أصل مطَّرد في كل صفة من صفات ربنا، فإن كل صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ فإن معناها معلوم، وكيفها ممتنعٌ مجهول، ولذلك قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ لما سأل عن الاستواء قال: الاستواء معلوم، يعني: معناه من جهة اللسان العربي، والكيف مجهول يعني: بعدم علمنا بحقيقة كيفية صفات ربنا، والإيمان به واجب لثبوت الأدلة لذلك، والسؤال عنه بدعة.

وقال محمد بن الحسن الترمذي في ما رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه»: النزول معلوم والكيف مجهول.

ويطرد القول في جميع الصفات علىٰ هٰذا النحو، فجميع الصفات نعلم معناها لأننا خوطبنا بلسان عربي مبين فنعرف معاني ما فيه باعتبار الوضع اللغوي في لسان العرب.

وأما كيفيات الصفات فقد حُجبنا عنها؛ لأننا لم نعرف كيفية ذات الله عَزَّوَجَلَّ، فكذلك لا نعرف كيفية صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا ادعىٰ مدع بالسؤال عن الكيفية فقال: كيف يسمع الله؟ أو كيف يرىٰ الله؟ أو كيف يستوي الله؟ أو كيف ينزل الله؟

قلنا: لا يقال في صفات الله: كيف ! لأن الكيف فيها ممنوع، وذلك أن علمنا عن الكيف محجوب.

ومراد أهل السنة رحمهم الله تعالىٰ في نفي الكيف كمال جاء عن الإمام أحمد إذ قال: لا كيف، يريدون لا كيف نعلمه، لا بالنظر إلىٰ نفس الأمر، فإن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها كيفية؛ لكن هٰذه الكيفية يمتنع العلم بها بالنسبة للمخلوقين.

ولذلك يقال: لا كيف أو يقال: التكيف مجهول؛ يعنىٰ أننا لا نعلمه، ولكننا نعتقد بما نعلمه من لسان العرب أن الصفة تقع علىٰ كيفية معينة؛ لكن علمنا بها محجوب.

فإذا أُطلق نفي الكيف عند السلف لم يكن المراد نفي وجود كيفية لصفة؛ لكن المراد: نفي علمنا بكيفية الصفة، ولذلك أحسن ابن عدود إذ قال في نظمه:

وما نقول في صفات قدسه ... فرع الذي نقوله في نفسه

فإن يقل جهميهم: كيف استوىٰ؟ ... كيف يجيء؟ فقل له: كيف هو؟

فإذا ادعىٰ مدع العنت بالسؤال بـ(كيف) وسأل عن الصفات كيف استوىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ؟ وكيف نزوله ؟ فإن الاعتراض عليه بقول: كيف هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ؟!

فإذا أقر بأن علمنا بكيفه ممتنع، فكذلك يجب أن يقنع بأن علمنا بكيفية صفاته ممتنع؛ لأن حجب العلم وقع في هٰذا وذلك.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾[العلق]، وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[الرَّعد]،

قوله: (﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾) وهو شديد المحال أي الأخذ بالعقوبة.

وقال ابن عباس: شديد الحول، وقال مجاهد: شديد القوة.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا تفسير إحدىٰ الآيات المشتملة علىٰ صفات ربنا عَزَّوَجَلَّ مما ذكره المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾، والمراد بشديد المحال: أي شديد الحول والقوة. وذلك بأخذه عبده بالعقوبة علىٰ وجه المغالبة، فالمِحال مشتمل علىٰ مغالبة ومطالبة، والغلبة فيها للرَّب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه هو ذو الحول والقوة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[آل عمران].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ قال بعض السلف في تفسير المكر: يستدرجهم بالنعم إذا عصوه ويملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

قال الحسن: من وسَّع الله عليه فلم يَرَ أنه يُمكر به فلا رأي له. وقد جاء في الحديث «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا علىٰ معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج»، والله جل وعلا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بهما؛ لكن ليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورىٰ].

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا جملة تتعلق بتفسير آية من الآيات التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في «الواسطية» وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ فنقل عن بعض السلف في تفسير المكر قوله: (يستدرجهم بالنعم إذا عصوه ويملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر)، وقول الحسن: (من وسَّع الله عليه فلم يَرَ أنه يُمكر به فلا رأي له. وقد جاء في الحديث «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا علىٰ معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج») وهٰذا الحديث يروىٰ من وجوه لا تخلو من ضعف وفي تقوية الحديث بمجموعها نظر.

والمراد بيان من هٰذه المرويات حديثا وأثرًا أن **المكر يكون أخذًا عن غفلة**، كما **أن المحال كما تقدم أخذا عن مغالبة**، فإن المكر يشترك معه في كونه أخذ؛ لكنه يفارقه من جهة طريقة ذلك الأخذ، فالمِحال يكون أخذا بمغالبة، وأما المكر فإنه يكون أخذا عن غفلة.

ومن جملة الأخذ عن غفلة ما يقع من الاستدراج بالنعم، ولهٰذا فسر من فسر من السلف المكر بالاستدراج بالنعم، وهو فرد من أفراد المكر، وإلا فإن أفراد المكر باعتبار قدرة ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يتأتىٰ عليها الحصر لأن أفراد كمال صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تقبل الحصر.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن (الله عَزَّوَجَلَّ وصف نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بهما) ووصف العبد بهما في هؤلاء الآيات، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال في المكر مثلا: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ فأثبت للمخلوق مكرا وأثبت لنفسه مكرا.

وإثبات الكيد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾[الطارق]، فأثبت لنفسه كيدا كما أثبت للمخلوق كيدا.

ولكن ليس مكر الله عَزَّوَجَلَّ كمكر المخلوق ولا كيد الله عَزَّوَجَلَّ ككيد المخلوق لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له المثل الأعلىٰ؛ كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ يعني الوصف الأعلىٰ كما فسره به ابن عباس واختاره ابن القيم، وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ فكل صفة وُصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها ووصف

به المخلوق فإن الاشتراك بينهما إنما هو في معنىٰ الصفة لا في حقيقتها، فليس حقيقة مكر الله كحقيقة مكر المخلوق، ولا حقيقة كيد الله كحقيقة كيد المخلوق.

وهٰذه الصفات التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في هٰذا الموضع مما بينه الشارح -أعني المكر والكيد- هي من جملة صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي جاء إطلاقها في القرآن علىٰ وجه المقابلة، فلم يأت قط ذكرها مطلقة؛ بل لابد من ذكر مقابل لها فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[الأنفال:٣٠]، وقال: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ وقال: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا﴾[النمل:٥٠] وقال: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ﴿١٦﴾﴾.

وإنما وقعت علىٰ هٰذه النحو؛ لأن الصفات باعتبار ما وضعت له أربعة أقسام:

القسم الأول: الصفات التي تتمحَّض في الكمال؛ كـ: الكرم والعلم والحلم، فتكون كمالا علىٰ كل حال.

والثاني: الصفات التي تتمحض في السوء؛ كـ: البخل والجبن والغش.

والثالث: الصفات التي تكون كمالا من وجه ونقصا من وجه آخر؛ كـ: المكر والكيد والمِحال.

والقسم الرابع: الصفات التي لا توصف بكمال ولا نقص، وهٰذا القسم أعني: الرابع إنما هو موجود في الأذهان، ولا وجود له في الأعيان، فإنه لا يوجد صفة من الصفات لا توصف بكمال ولا نقص، فإنما ذُكرت تتميما للقسمة العقلية، لا باعتبار ما يكون في الخارج.

وإذا تقرَّر هٰذا فيُعلم أن الصفات التي تتمحض بالكمال يوصف بها الرَّب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقد وصف بالعلم والحلم والحياة والقدرة ونظائرها، وأما الصِّفات التي تتمحض في السوء والنقص فقد نفاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه، فقد نفىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه الظُّلم والسِّنة والنَّوم ونظائرها، فلا يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بها أبدًا، وأمَّا الصفات التي تكون كمالا في وجه ونقص من وجه آخر كالكيد والمكر والمِحال، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يوصف باعتبار ما فيها من الكمال، ويمتنع وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما فيها من النقص، ودفعا لتوهُّم النقص فيها جاءت في القرآن الكريم علىٰ وجه المقابلة لمستحقِّها؛ لأن ذكرها مع المقابلة يبيِّن كمالها، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يمكر بمن يستحقُّ المكر، ويكيد بمن يستحق الكيد.. إلىٰ آخر هٰذا النوع.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾ [النمل]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾[الطارق].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾[النساء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾[النُّور].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾[ص].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرَّحمٰن].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم]،

قوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ قال شيخ الإسلام: قال أهل اللغة: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ أي نظيرًا استحق مثل اسمه ويقال مساميا يساميه، وهٰذا معنىٰ ما يروىٰ عن ابن عباس: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ مثيلًا أو شبيهًا اهـ. وقد سبق ذكر حاشيته بهٰذا المعنىٰ مفيدة فلتراجع.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا معنىٰ ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من آيات الصفات، وهي قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ وتقدم بيان معنىٰ النفي المراد في هٰذه الآية، فإن الاستفهام هنا جاء علىٰ وجه الاستنكار؛ أي: هل تعلم له سميا ؟

وجواب ذلك المقدر: أنه لا يُعلم له سمي.

والمراد بالسمي المنفي هنا: السمي المستحق من معنىٰ الاسم ما يستحقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما تقدم عند قول المصنِّف: (وَلَا سَمِيَّ لَهُ).

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص]، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة]، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥]، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[الفرقان]، وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[النحل]، وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[طه]،

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ الاستواء هو العلو والارتفاع.

وهو سبحانه كما أخبر عن نفسه فوق مخلوقاته مستوٍ علىٰ عرشه، وقد عبر أهل السنة عن ذلك بأربع عبارات ومعناها واحد، وقد ذكرها ابن القيم في «النونية» حيث قال:

فلهم عباراتٌ عليها أربع ... قد حُصلت للفارس الطعان
وهى استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذى ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذى هو رابعٌ ... وأبو عبيدة صاحب الشيبانى
يختار هٰذا القول فى تفسيره ... أدرىٰ من الجهمى بالقرآن
والأشعرى يقول تفسير استوىٰ ... بحقيقة استولىٰ من البهتان

تنبيه: وقع في بعض الكتب التي زعم مؤلفوها أنها علىٰ مذهب السلف عبارة باطلة وهي كما في رسالة «نجاة الخلف في اعتقاد السلف» قال: فالله تعالىٰ كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو علىٰ ما عليه كان قبل خلق المكان. اهـ

وهٰذا إنما يقوله من لم يؤمن باستواء الرب علىٰ عرشه من المعطلة، والحق أن يقال: إن الله تعالىٰ كان وليس معه غيره ثم خلق السَّمٰوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه علىٰ الماء ثم استوىٰ علىٰ العرش، وثم هنا للترتيب لا لمجرد العطف. قال ابن القيم في «النونية»:

والله كان وليس شىء غيره ... ويرىٰ البرية وهى ذو حدثان

وقال غيره:

قضىٰ خلقه ثم استوىٰ فوق عرشه ... ومن علمه لم يخل فى الأرض موضع

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا تفسير الاستواء المذكور في الآية التي أوردها شيخ الإسلام وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ فذكر أن (الاستواء هو: العلو والارتفاع)، وهما من المعاني التي ذكرها العرب في تفسير الاستواء، ونظمها ابن القيم في الأبيات التي أوردها المصنف من «الكافية الشافية»، فإن الاستواء يطلق علىٰ أربعة معان:

الأول: العلو .

الثاني: ارتفاع .

الثالث: الصعود .

الرابع: الاستقرار.

فيكون تفسير صفة الاستواء بهٰذه المعاني التي تعرفها العرب في لسانها.

ثم نبه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ إلىٰ غلط غالط في هٰذا المقام بما أورده من عبارة باطلة في كتاب «نجاة الخلف في اعتقاد السلف» وهو الشيخ عثمان بن قاعد النجدي ثم المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، فإنه أورد هٰذه العبارة التي توهم نفي استواء الرب علىٰ عرشه.

والصحيح أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان ولا شيء معه، ثم خلق السَّمٰوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علىٰ الماء ثم أستوىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ العرش. (وثم) هنا كما ذكر المصنف لترتيب، فوقع الأمر علىٰ هٰذا النحو ولا يراد بها مجرد العطف.

ولهٰذا فإن استواء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعد صفة ذاتية باعتبار استقراره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ العرش، ويُعد صفة فعلية باعتبار أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يكن مستويا ثم استوىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه كما ثبتت في ذلك الأدلة.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ،(١)

قوله: (سَبْعَةِ مَوَاضِعَ): وقد بينها ابن عدوان في نظمه لهٰذه العقيدة فقال:

وذكـــر اســـتواء الله فى كلماتـــه ... علىٰ العرش فى سبع مواضـع فاعـدد
ففى سـورة الأعـراف ثمـت يـونس ... وفى الرعـد مـع طـه فللعـد أكـد
وفى سـورة الفرقـان ثمـت سـجدة ... كـذا فى الحديـد افهمـه فهـم مؤيـد

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا تفسير ما وقع في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ من عد الآيات التي ذُكر فيها استواء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه، وهٰذا الموضع مما اختلفت فيه النسخ المطبوعة في الواسطية فمنها ما قيل فيه (في سبعة مواضع) ويكون المراد بهذه النسخة أن الاستواء ذكر في سبعة مواضع:

الأولىٰ منها: قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه]، وستة الباقية ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾.

ووقع في بعض النسخ (في ستة مواضع) علىٰ إرادة تخصيص عد الستة بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾.

وكلا المأخذان صحيح، فالعد الأول صحيح باعتبار إدراج آية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ في العد، والعد الثاني صحيح باعتبار قصر العد علىٰ قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾.

لكن بالنظر إلىٰ النسخ العتيقة من العقيدة الواسطية من المخطوطات، فإن المحفوظ فيها ما أثبته الناشر من قوله: (﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ).

والمقصود أن تعرف أن ما نظمه ابن عدوان صحيح فإن استواء الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العرش ذكر في سبعة مواضع هي التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لكن آية ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ جاءت في ستة مواضع.

(١) سورة: الأعراف، الآية (٥٤)، يونس، الآية (٣)، الرعد، الآية (٢)، الفرقان، الآية (٥٩)، السَّجدة، الآية (٤)، الحديد، الآية (٤). والسابع: سورة: طه، الآية(٥).

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾[النساء:١٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ [غافر]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[الملك]، وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[المجادلة]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء:١٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١١٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾[الأنعام:١١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النّساء]، وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾[مريم]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[الشّعراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[الأعراف]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص:٦٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[البقرة:٧٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَاۖ﴾ [الفتح:١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف:٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النّمل:٧٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر:٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرِۚ

(١) سورة: الأنعام، الآية (٩٢، و١٥٥).

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾(١)، وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال ابن رجب في «شرح حديث جبريل»: وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ، تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ في الجنة. قال: وهٰذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا علىٰ وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته فكان جزاؤه ذلك النظر إلىٰ وجه الله عيانًا في الآخرة. اهـ.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هٰذه الجملة بيان الآية التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في هٰذا الباب وهي قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فنقل بذلك ما ذكره ابن رجب في شرح حديث جبريل في كتابه «جامع العلوم والحكم» من أن الخبر قد ثبت عن النبي ﷺ في (تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ في الجنة)، فمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يعني: لهم الجنة وزيادةٌ هي النظر إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ مأخذًا حسنا لجعل جزاء أهل الجنة رؤية ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي أن من قواعد الجزاء الرباني أن الإحسان يقابل بالإحسان، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرَّحمٰن]، ولما كان من إحسان العبد المؤمن في الدنيا أنه يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وفؤاده= كان جزائه في الجنة أن يمتِّعه الله عَزَّوَجَلَّ بالنظر إلىٰ وجه الله بعيني رأسه؛ تحقيقًا لما كان عليه من كمال الحال من الإقبال علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالرؤية القلبية في الدنيا فما زالت هٰذه الرؤية القلبية ترقيه في مراتب الكمال حتىٰ بلغته رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عيانًا في الآخرة.

وهنا سؤال مهم: وهو الآيات من رقم له الطابع من (١٢٥) (٢) إلىٰ آخرها لماذا أوردها شيخ الإسلام ابن تيمة في هٰذا الباب؟

يقول الطالب: لإثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة. وهٰذا المعنىٰ الذي أثبته الناشر وأثبته كل من شرح «العقيدة الواسطية»، وهٰذا المعنىٰ لا يمكن أن يكون حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط.

ما فيها ذكر الوجه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ يعني وجوه المخلوقين، و﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ يعني المخلوقين.

---

(١) سورة: المطففين، الآية (٢٣، و٣٥).

(٢) يعني من قوله: (وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة])

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

شيخ الإسلام سيذكر الآيات هٰذه في هٰذا المعنىٰ في موضع آخر.

ولذلك قلنا: (حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط) لأن شيخ الإسلام ابن تيمية ليس من نقص العلم بحيث يعيد هٰذا المعنىٰ مرة ثانية.

هٰذا كما نبهنا عليه في «**التعليقات علىٰ الواسطية**» لإثبات (صفة التجلي)، ولذلك في حديث صهيب الذي أشار إليه ابن رجب فيما نقله عنه الشارح فيه «ثم يتجلىٰ الله لهم» فهٰذا هو المراد من إيراد هٰذا الصفات لأنها أوردت هنا في باب صفات الله ﷻ، والمقصود منها اثبات صفة لله ﷻ وهٰذه الصفة هي التجلي.

فينبغي التنبه لهٰذا الموضع؛ لأن هناك موضعان في هٰذا الفصل أخل بهما أكثر أو كل من شرح العقيدة الواسطية إلا في الموضع الأول، فقد شرحه الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ شرحا صحيحًا، وهو للإفادة ما جاء في أول الكلام من قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.) الصفات المثبتة مثل ماذا؟

مثل: **الرحمة** مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر:٧].

والصفات المنفية؟ مثل: **الظلم** في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف].

والأسماء المثبتة ؟ مثل: **العزيز، الرَّحمٰن**؛ لأن الشيخ قال: (قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ) هٰذا يدل علىٰ أن هناك صفات مثبتة وصفات منفية، وأسماء مثبتة وأسماء منفية.

فالأسماء المثبتة مثل: العزيز والرحيم...

والأسماء المنفية؟

لأن الشيخ قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.)، فتقتضي هٰذه القسمه أن تكون أربعة أقسام:

- صفة مثبته،
- صفة منفية،
- اسم مثبت،
- اسم منفي.

هٰذه الأقسام الثلاثة الأولىٰ مشت معكم.

وأما الأخير ما مشىٰ مع شراح الواسطية إلا الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ،

ما الجواب؟ مثل اسم السلام والقدوس وأشباه، فإن هٰذه الصفات منفيه باعتبار معانيها؛ لأن المقصود في السلام: السالم من العيوب، والقدوس: المتقدِّس عن النقائص، فهٰذا هو الاسم المنفي المقصود بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق].

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

ثُمَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ= وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

قوله: (ثُمَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ) قال ابن عدوان:

وسنة خير المرسلين محمد ... تفسر آيات الكتاب الممجد

تبينه للطالبي سبل الهدى ... تدل عليه بالدليل المؤكد

قوله: (وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا) وما أحسن قول ابن عدوان ناظم هٰذه العقيدة:

ودع عنك تزويقات قوم فإنها ... بحلتها التعطيل يا صاح ترشد

السنة الماضية «المنتخب من أبيات النونية في شرح الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن» طبعها أحد الإخوان ووزعناها في الحفل الأخير فمن منكم يتكفل بطبع من نظم الواسطية لابن عدوان ويوزعها في الحفل.

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» الْحَدِيثُ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قوله: (عَجِبَ رَبُّنَا) قال ابن عدوان:

ويعجب ربي من قنوط عباده ... فألق لما بينت سمعك واهتد
وفي رقية المرضىٰ مقال نبينا ... ألا ارق به رضاك يا ذا التسدد
رواه أبو داود يا ذا وغيره ... ألا احفظ هداك الله سنة أحمد

وقوله: (وَقُرْبِ غِيَرِهِ) اسم من قولك: غيرتُ الشيءَ فتغير، قال أبو السعادات: وفي حديث الاستسقاء «من يكفر بالله يلق الغير»: أي تغيُّر الحال وانتقالها من الصلاح إلىٰ الفساد.

قوله: (أَزِلينَ) الأزل الشدة والضيق، وقد أزل الرجل يأزل أزلا، أي صار في ضيق وحدب كأنه أراد من يأسكم وقنوطكم.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هنا تفسير الحديث الذي أورده شيخ الإسلام من جملة أحاديث الصفات وهو قوله ﷺ: « عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ » إلىٰ آخر الحديث وهٰذا الحديث قد حسنه شيخ الإسلام ابن تيمة في هٰذا الموضع.

ويُروىٰ هٰذا الحديث بإسنادين ضعيفين ومن أهل العلم من تبع شيخ الإسلام في تحسينه والله أعلم.

وفي هٰذا الحديث إثبات صفة العَجب أو العُجب لربنا فتقال بضبط بفتح العين وبضمها أيضا.

ويُغني عن هٰذا الحديث المتكلم فيه يغني في إثباتها ما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال للرجل: «لقد عجب ربكما من صنيعكما لضيفكما».

ثم فسر قوله: (وَقُرْبِ غِيَرِهِ) بالتغير والتحول، فالغِير هي: التحولات والتغيرات. وأورد في ذلك كلاما عن أبي السعادات والمراد به: ابن الأثير صاحب «النهاية في غريب الحديث»، وأهل العلم يغلب عليهم النقل عنه بهٰذا الاسم بكنيته أبو السعادات.

وقوله: (أَزِلِينَ) يعني: يائسين قنطين.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ- فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطٍ قَطٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُم أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ».

وَقَوْلِهِ -فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ-: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجِعِ[1]؛ فَيَبْرَأَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلِهِ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلِهِ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ».رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: (أَيْنَ اللهُ؟). هٰذا فيه رد علىٰ أهل البدع المنكرين لعلو الله علىٰ خلقه فنزهوه بجهلهم عما رضي به رسوله فقالوا: منزه عن الأين. وذلك جهل وضلال. والحق ما جاءت به السنة.

قال ابن عدوان:

وقد جاء لفظ الأين من قول صادق	رسول إلـه العالمين محمد
كما قد رواه مسلم في صحيحه	كذلك أبو داود والنسائي قد

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هنا أن قول النبي ﷺ للجارية: (أين الله ؟) في الحديث الذي أورده شيخ الإسلام متضمن لرد علىٰ أهل البدع المنكرين لعلو الذات، الذين نزه الله بزعمهم فمنعوا السؤال بأين؟ وقالوا: هو (منزه عن الأين، وذلك جهل وظلال) بأن (الحق ما جاءت به السنة)، وقد ذكر الذهبي في كتاب «العلو» أن هٰذا الحديث فيه فائدتان إثنتان:

الأولىٰ: جواز السؤال بـ(أين الله؟).

والثانية: أن الجواب يكون بقول: (في السماء).

---

(١) (الوجِع) هو المشهور في السماع علىٰ الشيوخ والمراد بذلك (المريض). ويروىٰ أيضا (الوجَع) والمراد بذلك المرض، لكن الأول أولىٰ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ) قال شيخ الإسلام في «العقيدة الحموية»: وكذلك قوله ﷺ: « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ» الحديث حق علىٰ ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي، بل هٰذا الوصف يثبت للمخلوق، فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر، لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قبل وجهه اهـ.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا إيضاح معنىٰ الحديث الذي أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في هٰذا الباب وهو قوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ» ونقل من كلام شيخ الإسلام في «العقيدة الحموية» ما يبين ذلك، إذ ذكر أن هٰذا (الحديث حق علىٰ ظاهره)، وليس بين هٰذا الحديث وبين الأدلة الواردة في علو الله عَزَّوَجَلَّ تعارض؛ بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عال في سمائه، مستو فوق عرشه، وهو قبل وجه المصلي، فيجتمع الواصفان جميعًا، كما يقع اجتماع هذين الوصفين؛ فإن الإنسان لو أنه وقف يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر كما يقع لبعض الدلائل في أشعارهم وأحوالهم، كانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضا قبل وجهه، فهو بالنظر إلىٰ حاله مقبل عليها، وهي بالنظر إلىٰ مكانها عالية عليه، وكذلك الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذ صلىٰ العبد كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قِبل وجهه مع كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عالٍ في سمائه.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

... إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

قوله: (يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ) قال ابن عدوان النجدي المتوفى سنة ١١٧٩:

وسلم لأخبار الصحيحين يا فتىٰ ... ولكن عن التمثيل وفِّقت أبعد

ودع عنك تزويقات قوم فإنها ... بحلتها التعطيل يا صاح مرتد[1]

---

(١) [سبق في (وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا): (ترشد)]، وهنا (مرتد) من الارتداء أيضا. لابد من الرجوع إلىٰ النسخة القديمة.

بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ.
فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَةِ»..

قوله: (بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَةِ») التعطيل هو نفي الصفات الإلهية، عن القيام بالذات العلية وتأويلها بلا دليل صحيح، ولا عقل صريح كقولهم: رحمة الله إرادته الإحسان والإنعام، ويده قدرته، واستواؤه علىٰ العرش؛ استيلاؤه عليه. كل هٰذا وأمثاله من التعطيل، وما حملهم علىٰ ذلك إلا الظن الفاسد، والرأي الكاسد، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

وقصـــارىٰ أمـــر مـــن أوّ ل أن ظنـــوا ظنونـــا
فيقولـــون علـــىٰ الـــرَّ حمٰـــن مـــا لا يعلمونـــا

والجهمية المعطلة، هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي. رأس الفتنة والضَّلال، وهم في هٰذا الباب طائفتان، نفاه ومثبتة:

فالنفاة قالوا: لا ندري أين الله، فلا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، فلم يؤمنوا بقول الله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام:١٨]، وقول النبي للجارية: «أين الله؟» وغير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

وأما المثبتة من فرقتي الضلال، فهم الذين يقولون: إن الله في كل مكان. تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فإنه سبحانه فوق مخلوقاته، مستو علىٰ عرشه بائن من خلقه، وأما أهل التمثيل المشبهة، فهم الذين شبَّهوا الله بخلقه ومثلوه بعباده، وقد رد الله علىٰ الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهٰذا يرد علىٰ المشبهة وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ يرد علىٰ المعطلة، وأما أهل الحق، فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالىٰ إثباتًا بلا تمثيل، وينزِّهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل.

هٰذا الفصل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية هو من غرر العقيدة الواسطية إذ حقَّق فيه وسطية أهل السنة والجماعة، وكونُهم عدلا كما أخبر الله ﷿ في وصف هٰذه الأمة بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣]، أي: عدولا.

فذكر ﵀ تعالىٰ خمسة مواقع من مواقع وسطية أهل السنة والجماعة:

ابتدأها بقوله: (فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَةِ»)، وقد بين المصنف ﵀ هٰذه المواقع الخمسة واحدا واحدًا، فابتدأ بتحقيق وسطيتهم في إثبات الله ﷿ وهو كونهم بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة.

لأن أهل التعطيل كما تقدم في تعريف التعطيل ينفون صفات الرب ﷻ، فكل صفة من صفات الرَّب ﷿ عندهم منتفية، وهؤلاء المعطلة نُسبوا إلىٰ الجهم بن صفوان الترمذي؛ لأن أشد طوائف النفاة هم

الجهمية، وإن كان يوجد في غيرهم تعطيل، لكن لما اختصوا بشدة التعطيل اختص هٰذا الوصف بهم.

وقابل هؤلاء المعطلة أهل التمثيل المشبهة الذين مثلوا الله ﷻ وشبهوه بخلقه.

وهاتان الطائفتان قد ردَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليهما في آية واحدة وهي قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾:

فشطرها الأول: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ يرد علىٰ المشبهة).

وقوله في الشطر الثاني: (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يرد علىٰ المعطلة).

وأهل السنة وسطٌ في هٰذا الباب؛ فهم يثبتون صفات الله عَزَّوَجَلَّ ولا ينفونها، وإثباتهم لها إثبات علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، فينزِّهون الرب ﷻ عن مشابهة المخلوقات.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَ«الْجَبْرِيَّةِ».

قوله: (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَ«الْجَبْرِيَّةِ».)، اعلم أن الناس اختلفوا في أفعال العباد، هل هي مقدورة للرب أم لا؟

فقال جهم وأتباعه وهم الجبرية: إن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد.

وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إن المؤثر في المقدور قدرة الرب لا قدرة العبد.

وقال جمهور المعتزلة وهم القدرية أي نفاه المقدر: إن الرب لا يقدر علىٰ عين مقدور العبد، واختلفوا هل يقدر علىٰ مثل مقدوره فأثبته البصريون كأبي علي وأبي هاشم، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون.

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاه، وهي مخلوقة لله تعالىٰ والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلًا.

والمعتزلة نفاه القدر، جعلوا العباد خالقين مع الله، ولهٰذا كانوا مجوس هٰذه الأمة.

وهدىٰ الله المؤمنين أهل السنة، لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم، فقالوا: العباد فاعلون، والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات]، وهٰذه المسألة من أكبر المسائل التي تضاربت فيها آراء النظار، وقد ألفت فيها كتب خاصة كـ«شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لشمس الدين ابن القيم، ولم يهتد إلىٰ الصواب فيها إلا من اعتصم بالكتاب والسنة:

مرام شط مرمىٰ العقل فيه ودون مداه بيد لا تبيد

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان الموقع الثاني من مواقع وسطية أهل السنة والجماعة المذكور في قول شيخ الإسلام: (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَ«الْجَبْرِيَّةِ».)، ومذهب الجبرية في هٰذا أنهم يقولون: إن العبد مجبور علىٰ فعله ولا اختيار له، فالفعل مقدور للرب لا للعبد. وهٰذا مذهب الجهمية.

وقابل هؤلاء القدرية الذين يزعمون ألا قدر، فينفون تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للأشياء ويقولون: إن العبد يخلق فعله، فصارت طائفة قد جعلت الفعل لله لا للعبد فيه شيء، وطائفة قد جعلت الفعل للعبد لا لله فيه شيء.

وهدىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أهل السنة للحق بين هاتين الطائفتين، فقال أهل السنة: إن للعبد مشيئة واختيارا، وهٰذه المشيئة والاختيار تابعة لمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ واختياره، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠]، فأفعال العباد مخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ، وللعبد فيها اختيار ومشيئة، فيكون فيها قدر مشترك بين العبد باعتبار مشيئته واختياره، وبين الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ باعتبار مشيئته واختياره.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ.

وقوله: (وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ) قال في «التعريفات»: المرجئة قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وقال القسطلاني في «شرح البخاري»: المرجئة نسبة إلىٰ الإرجاء أي التأخير لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق، هم فرقتان، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في «الفرقان» الأولىٰ الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان ومع كونهم مبتدعة في المقول الباطل، فقد وافقوا أهل السنة، علىٰ أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلىٰ أنه لابد في الإيمان أن يتكلم به بلسانه، وعلىٰ أن الأعمال المفروضة واجبة، وتاركها مستحقٌّ للذم والعقاب، وقد أُضيف هٰذا القول إلىٰ بعض الأئمة من أهل الكوفة.

وأما الفرقة الثانية فهم الذين قالوا: إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم يتكلم به، فلا شك أنهم من أكفر عباد الله، فإن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد من هٰذه الأركان لم يكن الرجل مؤمنًا.

وأما الوعيدية فهم القائلون بالوعيد، وهو أصل من أُصول المعتزلة، وهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة، ومذهبهم باطل يرده الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النساء:٤٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من مات من أُمتي لا يشرك الله شيئًا دخل الجنة» قال أبو ذر: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «وإن زنىٰ وإن سرق». فمذهب أهل السنة حق بين باطلين، وهدىٰ بين ضلالتين كما سمعت، والله أعلم.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان الموقع الثالث من مواقع وسطية أهل السنة والجماعة المذكور في قول شيخ الإسلام: (وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ)، وذلك أن الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما خلق الخلق وأمرهم بعبادته جعلهم بين شيئين اثنين:

أحدهما: وعده الذي يحملهم علىٰ الرغبة في متابعة الأمر.

والثاني: وعيده الذي يحملهم علىٰ مجانبة النَّهي.

فلا يصلح أمر الخلق بتحقيق العبادة إلا بسوقهم بالوعد والوعيد، ولهٰذا انتظم بالخطاب القرآني الجمع بين بالوعد والوعيد.

ولما نظر الناس في هٰذا الخطاب القرآني المتضمِّن للموعد والوعيد:

أخذت طائفة بالوعد وهم المرجئة.

وقابلتهم طائفة ثانية أخذت بالوعيد وهم المعتزلة.

فأما المرجئة فنقل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ عن الجرجاني صاحب «التعريفات» أنهم قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وذلك أنهم تعلقوا بآيات الوعد وأحاديثه، ثم تجلَّىٰ هٰذا الأصل في مظاهر عدة منها:

إخراج الأعمال من حقيقة الإيمان، فإنَّ أصل الإرجاء هو الأصل الذي تقدم من أنه لا يضر مع معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وأما مظاهر الإرجاء فتعدَّدت باعتبار أختلاف الفرق التي أخذت بدلائل الوعد دون الوعيد.

ومن هنا اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ في تقسيم فرق الإرجاء:

فمنهم من قسمها إلىٰ فرقتين.

ومنهم من قسمهم إلىٰ ثلاثة.

ومنهم من بلغهم سبع فرق.. باعتبار الأقوال المعروفة عن فرق الإسلام.

واقتصر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ علىٰ قسمة شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الفرقان» فإنه جعل المرجئة طائفتين:

الأولىٰ: الطائفة التي قالت: **إن الأعمال ليست من الإيمان**. فقال هؤلاء: الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان، وأخرجوا الأعمال من حقيقة الإيمان، وهؤلاء قد ابتدعوا قولًا مخالفا لظواهر الأدلة مع أنهم وافقوا أهل السنة في جملةٍ من مسائل الإيمان كما ذكر شيخ الإسلام من أنهم موافقون لأهل السنة بأن الله عَزَّوَجَلَّ يعذِّب من يعذبه من أهل الكبائر ثم يخرجهم بالشفاعة، وأنه لابد في الإيمان أن يتكلم بلسانه، وأن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحقٌّ للذم والعقاب. وهٰذا قولٌ قد أضيف إلىٰ بعض الأئمة من أهل الكوفة كحماد بن سليمان وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وغيرهم.

وأما الفرقة الثانية: فهم الذين قالوا: إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم، وهٰذا من أقوال الجهمية الذين اكتفوا في حقيقة الإيمان بمجرَّد تصديق القلب، ولم يذكرُوا لازمه من عقيدة القلب زيادةً علىٰ مجرد التصديق ومن قول اللسان وعمل الأركان.

وقابل هؤلاء المرجئة الوعيدية المعتزلة الذين يقولون بنفوذ وعيد الله عَزَّوَجَلَّ بأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يغفر لمرتكب الكبائر، فعندهم أن مرتكب الكبيرة كافر، وهٰذا مذهب باطل كسابقه.

و(مذهب أهل السنة حق بين باطلين وهدىٰ بين ضلالتين)، فأهل السنة يرجون للمحسن الثواب ويخافون علىٰ المسيء العقاب، فهم يعملون بنصوص الوعد كما يُعملون علىٰ أنفسهم نصوص الوعيد، فلا يكفِّرون فاعل كبيرة بذنبه ولا يقطعون لصاحب معصية بكمال حاله وتهوين ذنبه وفتح باب الرَّحمة والطَّمع فيه له، بل يخوفونه وعيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعقابه.

وَفِي بَابِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ «الْحَرُورِيَّةِ» وَ«الْمُعْتَزِلَةِ»، وَبَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» وَ«الْجَهْمِيَّةِ».

قولــه: (وَفِـي بَـابِ أسـماء الإِيمَـانِ والـدِّينِ بَـيْنَ «الْحَرُورِيَّـةِ» وَ«الْمُعْتَزِلَـةِ»، وَبَـيْنَ «الْمُرْجِئَـةِ» وَ«الْجَهْمِيَّةِ»). الحرورية هم الخوارج واعلم أن الناس تنازعوا قديمًا في الأسـماء والأحكـام، أي أسـماء الدين مثل: مؤمن ومسلم وكافر وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة.

فالمعتزلة وافقوا الخوارج علىٰ حكمهـم في الآخـرة دون الـدنيا، فلـم يسـتحلوا مـن دمـاء الفسـاق الموحدين وأموالهم ما استحلته الخوارج من الفاسق المِلِيِّ مرتكب الكبـائر لأن الخـوارج يـرون ذلـك كفرًا، وإنما وافقوهم علىٰ حكمهم في الآخرة وهو الخلود في النار، وأما في الـدنيا فخـالفوهم في الاسـم، فقالوا: مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل الكفر، فهو بمنزلة بين المنزلتين.

وهٰذا أصل من أُصول المعتزلة. وهو خاصة مذهبهم الباطل.

وأما مذهب المرجئة فقد تقدم أنهم قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية.

ومذهب أهل الحق خلاف هذين المذهبين، فلا يقولون بقول الخوارج والمعتزلة ويخلـدون عصـاه الموحدين بالنار، ولا يقولون بقول المرجئة: إن المعصية لا تضرهم، بل العبد الموحد مأمور بالطاعـات منهي عن المعاصي والمخالفات، فيثاب علىٰ طاعته ويعاقب علىٰ معصيته إن لم يعف الله عنه.

والبحث طويل لا تتسع له مثل هٰذه الحواشي، وإنما قصـدنا بـذلك تنبيـه الطالـب إلـىٰ مآخـذ هٰـذه المسائل.

أما عطف الجهمية علىٰ المرجئة كما في نسختنا فليس للمغايرة، فإن المرجئة جهمية أيضًـا، فـالجهم هو الذي ابتدع التعطيل والتجهم والإرجاء والجبر، قال في «النونية»

جـيم وجـيم ثـم جـيم معهمـا ... مقرونـــة مـــع أحـــرف بـــوزان
فـإذا رأيـت الثـور فيـه يقـارن ال ... جيمـــات بالتثليـــث شـــر قـــران
دلـت علـىٰ أن النحـوس جميعهـا ... سـهم الـذى قـد فـاز بالخـذلان
جـــبر وإرجـــاء وجـــيم تجهـــم ... فتأمـــل المجمـــوع فى الميـــزان
فـاحكم بطالعهـا لمـن حصـلت لـه ... بخلاصـــه مـــن ربقـــة الإيمـــان
والجهـم أصـلها جميعًـا فاغتـدت ... مقســـومة فى النـــاس بـــالميزان
لكن نجـا أهـل الحـديث المحـض ... أتبـــاع الرســـول وتـــابعوا القـــرآن
عرفوا الذى قـد قـال مـع علـم بمـا ... قـال الرسـول فهـم أُولـو العرفـان

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان الموقع الرابع من مواقع وسطية أهل السنة والجماعـة المـذكور في قـول شـيخ الإسـلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعـالىٰ: (وَفِـي بَـابِ الإِيمَـانِ والـدِّينِ بَـيْنَ «الْحَرُورِيَّـةِ» وَ«الْمُعْتَزِلَـةِ»، وَبَـيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» وَ«الْجَهْمِيَّـةِ».)، فبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن المراد بأسماء الـدين: الأوصـاف التـي يحكـم بهـا علـىٰ

الخلق نحو مؤمن وفاسق ومسلم وكافر ومبتدع وضال.

فأهل السنة وسط في هٰذا الباب بين هٰذه الطوائف.

و(الحرورية هم الخوارج) وقد وافق الخوارج أضرابهم من المعتزلة علىٰ حكمهم علىٰ فاعل الكبيرة بأنه في الآخرة في النار؛ ولكنهم اختلفوا فيه في الدنيا:

فالخوارج عندهم فاعل الكبيرة كافر بمجرد فعل الكبيرة.

وأما المعتزلة فهم يزعمون أن العبد المواقع للكبيرة هو في الدنيا في منزلة بين منزلتين؛ فليس مؤمنا ولا كافرا، فولَّدوا شيئا يوجد في الأذهان ولا يوجد في الأعيان، ولا تدل عليه آيات القرآن، ولا يوجد في حديث النبي ﷺ.

وقابل هؤلاء المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، فهم يقولون: إن فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم إنما هو اعتقاد القلب وقول اللسان، في أعلىٰ مذاهب أهل الإرجاء، وما دون العلو إلا السفل، فهٰذا مذهب المرجئة جميعا.

وأما أهل السنة فإنهم يقولون: إن فاعل الكبيرة مؤمن إلا أنه غير كامل الإيمان:

فهو مؤمن باعتبار بقاء أصل الدين فيه، وأنه لم يخرج من الدين بالكبيرة التي فعلها.

وهو ناقص الإيمان باعتبار مواقعته للكبيرة.

ومن أهل السنة من لا يصرف عليه أسم المؤمن وإنما يقول هو مسلم وليس بمؤمن، فهو لا يحكم بخروجه من الدين؛ بل يثبت له القدر الأقل وهو الإسلام، ويمتنع من إثبات القدر الأعلىٰ له وهو الإيمان.

والثاني لا يخرج عن الأول، فهما دائران في مرتبة الوسطية، وإنما الخلاف في العبارة، وقد ذكر هذين المذهبين عنهم الشيخ سليمان آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «تيسير العزيز الحميد».

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّوافِضِ» وَ بَيْنَ «الْخَوارِجِ».

وقولـه: (وَفِـي أَصْـحَابِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ بَـيْنَ «الرَّوافِضـة» وَ بَـيْنَ «الْخَـوَارِجِ») فالرافضــة كفــروهم والخوارج كفروا بعضهم، وأهل الحق عرفوا فضلهم كلهـم، وأنهـم أفضـل هٰـذه الأمـة إسـلامًا وإيمانًـا وعلمًا وحكمةً رضي الله عنهم أجمعين.

ذكر المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هنا بيان الموقع الخامس من مواقع وسطيَّة أهل السنة والجماعة المذكور في قول شيخ الإسلام: (وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّوافِضة» وَبَيْنَ «الْخَوَارِجِ».)، وبين رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ وسطيتهم وقعت بأن الرافضة كفَّروا أصحاب النبي ﷺ، وأنَّ الخوارج كفَّروا بعضهم، وأما أهل السنة فقد عرفوا الفضل لهم جميعًا، وأن أصحاب النبي ﷺ كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام لهم من المناقب العظيمة والمقامات المحمودة ما ليس لغيرهم من هٰذه الأمة.

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِه ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ ﷻ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلاَفُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَخِلاَفُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ –مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا– حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ الإِيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ ﷻ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامَ غَيْرِهِ. وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ.

قوله: (وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ) كما هو قول الكلابية.

وقوله: (أَوْ عِبَارَةٌ) كما هو قول الأشعرية.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هنا بيان معنىٰ ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية من نفي جواز إطلاق القول بأن القرآن حكاية أو عبارة فأشار إلىٰ أن هذين مذهبان من مذاهب المخالفين لأهل السنة والجماعة:

فالكلابية تزعم بأن القرآن حكاية عن كلام الله.

والأشاعرة تزعم بأن القرآن عبارة عن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأراد هؤلاء وأؤلئك بهٰذا نفي كون القرآن قد تكلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به حقيقة؛ لأنهم ينفون الصَّوت والحرف، وإذا نفوا الصوت والحرف الذي تعلق به صدور القرآن سمعه جبريل من الله وسمعه محمد ﷺ من جبريل كان لابد لهم أن يتستروا بعبارة يُدلون بها للتمويه علىٰ الناس في بيان طريقتهم، فلن يقولوا: إن القرآن ليس كلام الله ؛ ولكنهم قالوا: إن القرآن هو حكاية وعبارة عن كلام، فليس هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة لامتناع الحرف والصوت عندهم، خلافا لطريقة أهل السنة والجماعة الذين يقولون: إن القرآن كلام الله حقيقة؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يتكلم بحرف وصوت، وإذا كان الكلام صادرًا بحرف وصوت كان لابد من إجرائه علىٰ الحقيقة؛ لأن هٰذا هو الذي تعرفه العرب في لسانها في حقيقة الكلام.

بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ ﷻ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

قوله: (أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ ﷻ حَقِيقَةً) كما هو قول «أهل السنة»

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هنا بيان معنىٰ قول شيخ الإسلام: ((لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ ﷻ حَقِيقَةً) كما هو قول «أهل السنة») يعني: أن أهل السنة يقولون: إن القرآن إذا قرأه القارئ فإن الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري، وكذلك إذا كتب في المصحف فإن الكتابة كتابة الناسخ والكلام كلام الرّب ﷻ، فلم يخرج بقراءته أو كتابته عن أن يكون كلاما لله ﷻ حقيقة؛ لأن الكلام يضاف علىٰ الحقيقة إلىٰ من قاله مبتدئا لا إلىٰ من قاله مبلغا مؤديا سواء بالقراءة أو بكتابة.

وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوف دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

وقوله: (لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي) هٰذا قول المعتزلة.

وقوله: (وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ) هٰذا قول الأشاعرة.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا معنىٰ قول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوف دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.)، فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن القرآن حرفا ومعنىٰ هو من الله.

وأما المعتزلة فيقولون: إن القرآن هو الحروف دون المعاني؛ لأنهم ينفون صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحينئذ فإن الله عندهم لا يوصف بأنه متكلم، وإذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير متكلم ممتنعا عن الكلام فحينذ لا يكون الكلام منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذه الحروف بصدورها عن مخلوق، وصارت هٰذه الحروف من الله عَزَّ وَجَلَّ باعتبار أنه خالقها.

وأما المعنىٰ فهو عندهم منفي؛ لأنهم ينفون أتصاف الله عَزَّ وَجَلَّ بصفة الكلام، وصاروا يقولون: القرآن حروف دون المعاني. يعني: أن الحروف من الله دون المعنىٰ، والحروف من الله بالخلق لا بالكلام؛ لأنهم ينفون صفة الكلام عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقابل هؤلاء الأشاعرة الذين قالوا: القرآن والمعني دون الحروف؛ لأنهم ينفون الحرف والصوت عن الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويثبتون صفة الكلام لله، ويقولون: إن الكلام صفة قائمة بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعُبِّر عنها بما شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، فعُبِّر عنها بالتوراة والإنجيل والقرآن، فصارت هٰذه الحروف ليست كلام الله وإنما هي عبارة وحكاية عنه كما هو مذهب الأشاعرة وشيوخهم الكلابية.

وأما أهل السنة فيقولون: القرآن كله حرفا ومعنىٰ؛ كله من الله.

وَقَد دَّخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

قوله: (لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.)، وفي الحديث «لا تضامون في رؤيته»، قال في «النهاية»: يروىٰ بالتشديد والتخفيف: فالتشديد معناه لا ينضم بعضكم إلىٰ بعض، وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها، ومعنىٰ التخفيف لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم، وقد اتفق أهل الحق علىٰ أن المؤمنين يرونه يوم القيامة من فوقهم كما قال في «الكافية الشافية---:

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرىٰ القمران

هٰذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الإيمان

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام ابن تيمية: (لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) فذكر نقلا عن أبي السعدات ابن الأثير في «النهاية» أن هٰذه الكلمة تروىٰ بتشديد الميم وتخفيفها، فإذا شُددت صار المعنىٰ: أنه لا ينضم بعضهم إلىٰ بعض، وإذا خففت صار المعنىٰ: لا ينالهم ضيم ولا ذل في رؤيتهم لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانا، ومعنىٰ (عيانا) رؤيته بعيني الرأس كما ثبت التصريح ذلك في «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ قال: «إنكم سترون ربكم عيانا» وأصله في مسلم لكن ليس فيه هٰذه اللفظة.

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ ﷻ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُون فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آه، آه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرىٰ، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَىٰ الأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ تعالىٰ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ.

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً،

قوله: (فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ) العرصات: جمع عَرصَه، وهي كل موضوع واسع لا بناء فيه.

قوله: (فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ) المرزبة بالتخفيف: المطرقة الكبيرة، ويقال لها: إرزبّة بالهمزة والتشديد.

قوله: (غُرْلاً) الغرل جمع أغرل، وهو الأقلف، والغرلة: القلفة.

بين المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا معنىٰ قول شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف حال الناس في الحشر أنهم يكونون (غُرْلاً)، فقال: (الغرل جمع أغرل، وهو الأقلف، والغرلة: القلفة.) يعني: غير مختونين.

وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِن وَّراءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرصَةِ الْقِيَامَةِ «الْحَوضُ» الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَن شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَ«الصِّرَاطُ» مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُم مَن يُخْطَفُ فَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم.

فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ ﷺ.

وَلَه ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا «الشَّفَاعَةُ الأُوْلَىٰ»: فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ السَّلَامُ= الشَّفَاعَةَ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا «الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ»: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا «الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ»: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ= مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤْمِنُ «الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَينِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قوله: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ قال الراغب: أي عمله الذي طار عنه من خير وشر.

قوله: (فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ) اعلم أن العلماء رحمهم الله اختلفوا في العرش والقلم أيهم خلق أولًا، وحكىٰ ابن القيم في ذلك قولين: اختار أن العرش مخلوق قبل القلم، ولهٰذا قال في «النونية»:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني
والحق أن العرش قبل لأنه ... وقت الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ) فأشار إلىٰ الخلاف المشهور بين أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ بالمخلوف أولا أهو العرش أم القلم، علىٰ قولين اثنين أختار ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وجماعة من المحققين أن العرش مخلوق قبل القلم، وهٰذا هو الذي تدل عليه الأدلة.

وأما ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ عند أبي داود وغيره: «أول ما خلق الله القلم، قال له: أكتب» فالأوليه هنا أولية نسبية إضافية يعني بالنسبة إلىٰ ما بعده، فيكون العرش قد خلق أولا ثم استوىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه، ثم أمر القلم بأن يجري بكتابة المقادير، ووُصف خلق القلم بالأولية بالنظر إلىٰ ما بعده من المخلوقات، فهو أول المخلوقات التي تبعته، وليس أول المخلوقات علىٰ الإطلاق.

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلاَمُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[الحديد]، وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ ﷻ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً:

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، بِكَتْبِ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.. وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاَةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ تعالىٰ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ ﷻ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ.

قوله: (لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ) **الإرادة نوعان:**

إحداهما: الإرادة الكونية المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والثانية: الإرادة الدينية الشرعية وهٰذه لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق بها النوع الأول من الإرادة، وفي أوائل «فتح المجيد» بحث مفيد في الفرق بين الإرادتين فليراجعه طالب التحقيق.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام ابن تيمية: (لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ)، وهٰذا الموضع قد اختلفت فيه النسخ المطبوعة فبعض النسخ فيها كما أثبت ناشر هٰذا الكتاب في أصل الواسطية (لا يكون في ملكه إلا ما يريد) وفي بعضها (لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ) وهو الذي وقع عليه شرح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وكلا الجملتين بمعنىٰ واحد، إلا أن الأثبت من جهة النسخ العتيقه للواسطية هو المثبت في النص (لا يكون في ملكه إلا ما يريد)، وقد فسر الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ الإرادة الإلهية وبين أنها نوعان:

أحدهما: الإرادة الكونية.

والثاني: الإرادة الدينية الشرعية.

والإرادة الكونية القدرية توصف بوصفين اثنين:

أحدهما: استلزام وقوع المراد فيها.

والثاني: أن المراد فيها قد يكون محبوبا لله وقد لا يكون محبوبا له .

والنوع الثاني: الإرادة الدينية الشرعية وهي توصف بوصفين اثنين:

أحدهما: أن مراد الرب ﷻ فيها لا يكون إلا محبوبًا.

والثاني: أن هٰذا المراد قد يقع وقد يتخلف وقوعه.

وَأَنَّهُ ﷻ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُه، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.

قوله: (وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ) اعلم أن الذي عليه الأئمة المحققون ودل عليه الكتاب والسنة، أن المشيئة والمحبة ليستا واحدًا ولا هما متلازمان، بل قد يشاء ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه.

فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه.

والثاني: كمحبته إيمان الكفار وطاعات الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين. ولو شاء ذلك لوجد كله، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام: (وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ) منبها علىٰ أن الأئمة المحققين يقولون تبعا لما دل عليه الكتاب والسنة: **إن المشيئة والمحبة ليستا شيئا واحدا، ولا هما متلازمتان.** فليس كل شيء يشائه الله ﷻ يكون محبوبا له، وليس كل ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ يكون.

فمن الأول: وهو ما يشاؤه الله ﷻ ولا يحبه، (كمشيئته وجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه)، فالله ﷻ شاء وجود ابليس وشاء وجود المعاصي؛ لكنه لا يحب هٰذا ولا ذلك.

ومن الثاني: وهو أن الله ﷻ يحب ما يشاء كونا (كمحبته إيمان الكفار وطاعة الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين)، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحب صدور الإيمان من كافر، ويحب صدور طاعته من فاجر، ويحب صدور العدل من ظالم، ويحب صدور التوبة من فاسق؛ لكنه ﷻ تقع منه هٰذه المحبة فيُحب ما لا يشاء كونه فهو ﷻ يحبُّ إيمان الكافر ولا يحب وجود الكافر، ويحب طاعة الفاجر ولا يحب وجود الفاجر.. إلىٰ آخر ما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم.

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَة، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخالق قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

قوله: (وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَة) أي فليس بمجبر علىٰ أعماله؛ لأنه يعملها بإرادته واختياره فيثاب علىٰ الطاعة ويستحق العقاب علىٰ المعصية، وما أحسن قول ابن عدوان ناظم هٰذه العقيدة حيث قال:

وللعبـــد يـــا ذا قـــدرة وإرادة ... علـىٰ العمـل افهـم فهـم غيـر مبلَّـد

فيفعـــل يـــا ذا باختيـــار وقـــدرة ... ولـــيس بمجبـــور ولا بمضـــهَّد

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام: (وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَة) وقال: (أي فليس بمجبر علىٰ أعماله؛ لأنه يعملها بإرادته واختياره فيثاب علىٰ الطاعة ويستحق العقاب علىٰ المعصية)، هٰذا أصل متفرع عما سبق ذكره من أن أفعال العباد مخلوقة لله، إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل للعباد إرادة واختيارا ومشيئة، فهم يختارون من الأعمال ما يشاؤون، فيثابون علىٰ الطاعة ويستحقون العقاب علىٰ المعصية.

كَمَا قَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّىٰ سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

قوله: (وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ) أي لأنهم أثبتوا خالقا لما اعتقدوه شرًّا غير الله. قال في «التدمرية»: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله كالقدرية وغيرهم، لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا: إنهم خلقوا أفعالهم، وقال في «النونية»:

فالناس كلهم أقروا أنه ... هو وحده الخلاق ليس اثنان
إلا المجوس فإنهم قالوا بأن ... الشر خالقه إله ثان

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام: (وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ) والضمير في قوله (فِيهَا) راجع إلىٰ قوله: (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ تعالىٰ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ)، فمن الناس من غلا في إثبات قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتىٰ سلب المخلوق المشيئة والاختيار، فصار المخلوق حين إذ مجبورا علىٰ هٰذه الأفعال التي يفعلها.

وهٰذا ولَّد عند هؤلاء القول بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يختص به تقدير الخير، وأن الشر من تقدير غيره، وهٰذا في الأصل هو مذهب الثانوية من المجوس، ثم وقع القدرية في مشابهتهم.

ولذلك جاء عند أبي داود وغيره «(القدرية مجوس هٰذه الأمة»، وهو حديث يروىٰ من وجوه ضعاف، وقد حسنه جماعة من أهل العلم.

وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحُجرات].

وَلاَ يَسْلُبُونَ «الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ» اسم الإِيمَانَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ. بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ.

قوله: (وَلاَ يَسْلُبُونَ «الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ») أي الذي علىٰ ملة الإسلام، ولم يرتكب من الذنوب ما يوجب كفره كعبادة غير الله، وإنكار ما علم مجيئه من الدين بالضرورة وغير ذلك، مما هو معلوم في نواقض الإسلام، وموجبات الردة أعاذنا الله منها.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا بيان معنىٰ قول شيخ الإسلام: (وَلاَ يَسْلُبُونَ «الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ») فأخبر بأن الفاسق الملي هو (الذي علىٰ ملة الإسلام، ولم يرتكب) ذنوبا توجب (كفره؛ كعبادة غير الله وإنكار ما علم مجيئه من الدين بالضرورة)، وبعبارة أبين واوضح يقال: إن **الفاسق الملي هو فاعل الكبيرة من المؤمنين**؛ لأن فاعل الكبيرة يستحق اسم الفسق فغن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر مراتب الذنوب في آية سورة الحجرات في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾[الحجرات:٧]، فقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْكُفْرَ﴾ أشارة إلىٰ المكفرات، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ اشارة إلىٰ المفسقات وهي الكبائر، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾ إشارة إلىٰ ما دونهما وهو الصغائر.

فدل هٰذا علىٰ أن فاعل الكبيرة يحكم عليه بالفسق لا الكفر، ولذلك يقال فاسق ملي يعني: فسق بفعله لكنه لم يخرج من الملة فصلر منسوبا إليها وهي ملة الإسلام.

فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء:٩٢]، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَىٰ الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ محمد ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، وَطَاعَة للنَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ «الْكِتَابُ» أو «السُّنَّةُ» أو «الإِجْمَاعُ» مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَة. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ- أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِه الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنِّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

قوله: (يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ) قال الزمخشري: (خم) بضم الخاء اسم رجل صباغ أُضيف إليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل هو علىٰ ثلاثة أميال من الجحفة، وذكر صاحب «المشارق» أن خمًّا اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها اهـ.

والغيضة: الشجر الملتف.

من صاحب «المشارق»؟ القاضي عياض واسمه «مشارق الأنوار للقاضي عياض» وهو من أحسن الكتب التي تشتمل علىٰ تفسير غريب «الصحيحين» و«الموطأ»، ويعول عليه كثيرا النووي في «شرح مسلم» والحافظ ابن حجب في «فتح الباري».

وَقَدْ قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه -وَقَدِ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي».

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ؛ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُقرونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ».

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

قوله: (وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ) هٰذا هو الحق الذي يجب المصير إليه، ولقد ضل كثير من المؤرخين المتنطعين فجعلوا أنفسهم كأنهم حكام بين أصحاب رسول الله، فصوّبوا وخطأوا بلا دليل بل باتباع الهوىٰ وضعف الدين، ولقد أحسن ابن عدوان النجدي بقوله حيث قال:

وتمسك عمّا كان بين صحابه ... وما صح معذورون فيه فقل قد[1]
فإما لهم أجران أو أجر يا فتىٰ ... فلا تبغ قولًا غير ذلك تهتد
وليسوا بمعصومين فاسمع مقالنا ... ولكن لهم ما يوجب العفو فاهتد
فقد صح عن خير الخلائق أنهم ... لخير القرون افهم بغير تردد

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ) النبوي (بقول أو عمل)، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (هٰذا هو الحق الذي يجب المصير إليه) أي: لابد من موالاة الصحابة وآل بيت النبي ﷺ علىٰ حد سواء، فهم بمنزلة العينين في رأس واحدة.

ثم نبه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إلىٰ ضلال (كثير من المؤرخين المتنطعين الذين جعلوا أنفسهم) بمنزلة الـ(حكام) القاضين (بين أصحاب رسول الله ﷺ فصوبوا وخطؤوا بلا دليل بل اتباع الهوىٰ وضعف الدين)، وما أحسن قول العراقي في «ألفية السيرة»:

ولـيعلم الطالب أن السيرا ... تجمع ما صح وما قد أنكرا

و(اسم السير) يشمل جميع الكتب المصنفة سواء في سيرة النبي ﷺ أو في أخبار غيره، وكتب السير تجمع ما صح من المنقولات والآراء، وتجمع معها ما كان باطلا من المنقولات والآراء.

---

(١) (قد) يعني: يكفي.

ولذلك لا يعول علىٰ كتب التاريخ والتراجم في تقرير عقيدة أحد، فمن الغلط الواقع اليوم أن بعض الناس يستدل علىٰ عقيدة ابن كثير أو عقيدة الذهبي أو عقيدة ابن رجب أو نحو ذلك بما يذكره عرضا من المنقولات التاريخية.

والمؤرخ إنما ينقل خبرا ولا يستفاد من مجرد نقله أنه مقر له؛ بل لا بد من تصريح بين منه في ما يذكره، ولذلك قد تجد في كتب بعض أهل السنة التاريخية إذا ذكروا ميتا قد مات فدفن قالوا: وله مقام يزار، وليس مقصودهم إقرار الزيارة الشركية عند المعظّمين من المقبورين؛ ولكنهم يخبرون عن واقع الناس مع هؤلاء.

فيجب أن يميز طالب العلم مرتبة كتب التاريخ في تقرير عقائد العلماء، ومعرفة مذاهبهم في مسائل الخلاف، من جملتها مسألة الصحابة رضوان الله عليهم.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُم مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ.

قوله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ) كرامات أولياء الله المتقين من عباده الصالحين من الأولين والآخرين ثابتة بالكتاب والسنة، وقد أخبر الله بها في كتابه، وعرّف عباده بما أكرم به أصحاب الكهف ومريم بنت عمران وآصف بن برخيا.

وكذلك ثبت في كتب أهل السنة ما أكرم به عمر بن الخطاب وأُسيد بن حضير والعلاء بن الحضرمي وغيرهم مما هو مفصل في «لوائح الأنوار» وغيره. ومن أراد تفصيل ما أشرنا إليه فليراجع «اللوائح» و«الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية و«شرح الخمسين» لابن رجب وغيرها، حيث إن هٰذه الحاشية لا تتسع لبسط ذلك، وقد عد أهل السنة من أنكر كرامات الأولياء وخوارق العادات من أهل البدع لمخالفته الدليل.

تنبيه: لا تظن أيها القاريء أن أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسالمون الحيات ويمسكونها ويدخلون النار تخييلًا ويضربون أنفسهم بالسلاح كذبًا وتدجيلا من أولياء الله، بل هم من أولياء الشيطان، نعوذ بالله من أفعالهم ونبرأ إلىٰ الله منهم ومن أحوالهم.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتَ الأَوْلِيَاءِ)، فأخبر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد جعل لمن شاء خلقه من الأولياء ممن هم دون الأنبياء جعل لهم كرامات أظهر بها منزلتهم وحضوتهم عنده، مما أخبر به الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه أو ثبت في كتب أهل السنة والجماعة مما وقع لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن بعدهم.

وقد أفرد الخلال كتابا في كرامات الأولياء، كما أن اللالكائي من جملة كتابه في« أصول أهل السنة » كتاب مفرد في كرامات الأولياء، وقد اشتهر منذ القديم مفردا عن بقية الكتاب لجلالة موقعه.

ثم أحال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في بيان هٰذه الجملة علىٰ كتاب «لوائح الأنوار» و«الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرح الخمسين لابن رجب المسمىٰ بـ «جامع العلوم والحكم»، ومن أنكر كرامات الأولياء وخوارق العادات فهو من أهل البدع لمخالفة الدليل.

ما هو كتاب« لوائح الأنوار» الذي يحيل إليه ؟ السفاريني

وكتاب السفاريني «لوامع الأنوار» وإلا «لوائح الأنوار»؟

من قال: «لوامع» صحيح، ومن قال: «لوائح» صحيح؛ لأن له كتابين «لوامع الأنوار البهية شرح المنظومة السفارينية» و «لوائح الأنوار البهية شرح المنظومة الحائية» لكن الشيخ ابن مانع بتتبع كتبه لا يسمي كتاب (شرح السفاريني) لا يسميه (لوامع الأنوار) يسميه «لوائح الأنوار».

وابن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ له تدقيقات في أسماء كتب الحنابلة خاصة تدل علىٰ وقوفه علىٰ نسخ عتيقة، فهو يسمي السفارينية «لوائح الأنوار»، فإذا وجدت لوائح الأنوار مذكورة في كلام ابن مانع فلا تظن أنه هو الذي طبع أخيرا «لوائح الأنوار السنية شرح المنظومة الحائية» إنما هو يطلقه علىٰ شرح عقيدة السفاريني للسفاريني نفسه الذي طبع باسم «لوامع الأنوار البهية ».

ثم ختم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هٰذه الجملة بالتنبيه علىٰ أنه ينبغي أن يتنبه القاريء إلىٰ أن أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسالمون الحيات ويمسكونها ويدخلون النار تخيلا ولا يحترقون ويضربون أنفسهم بالسلاح فلا تحسبنهم من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ، بل هم دجالون أفاكون من أولياء الشيطان لأنهم يجرؤن علىٰ أفعال ليست مما أذنت به الشرع، وليس من علامة الكرامة مخالفة الشريعة بل إذا رأيت الإنسان تقع له هٰذه الوقائع وهو علىٰ غير طريق الشرع فعلم أنه صاحب بدعة، كما قال الأخضري في «نظمه» قال:

إذا رأيت رجلا يطيرُ ... وفوق ماء البحر قد يسيرُ

ولم يقف عند حدود الشرع ... فإنه مستدرج وبدْع

وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِم مِنْ خَوارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ «أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَتِ فِي الأُمَّةِ.

ثُمَّ هُمْ مَّعَ هذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ.

وَقَوْلِهِ ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الواحد؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي»، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلاَمُ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ.

وقوله: (وَالإِجمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ) وأما الأصل الأول فهو القرآن، وأما الثاني فهو سنة النبي عليه السلام.

قوله: (سفسافها) السفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء وهو ضد المعالي والمكارم.

قوله: (الأبدال): قال ابن الأثير في حديث عن الأبدال بالشام: هم الأولياء والعباد الواحد بدل كحَملٍ وأحمال، وبدل كجمل سموا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر اهـ.

ولو قيل: إن الأبدال هم الذين يجددون الدين كما في الحديث لما كان بعيدًا وليس مراده بالأبدال ما اشتهر علىٰ لسان عباد القبور حيث يقولون: الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال والغوث، فيضلون بهٰذه الأسماء الجهال زاعمين أن لها حقيقة، وما هي والله إلا خرافات لا حقيقة لها سوىٰ العقائد الفاسدة الزائغة الشركية.

نسأل الله الشفاعة والعافية من كل بدعة وضلالة، وأن يثبتنا علىٰ الصراط المستقيم بمنه وكرمه.

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا بيان قول شيخ الإسلام: (وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ) وسبق أن ذكرنا أن الأبدال اسم له معنيان اثنان:

الأول: معنىٰ عام، وهم القائمون بنصرة دين الله فإذا هلك منهم هالك أبدله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بغيره، حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها. وهٰذا المعنىٰ حق وهو مقتضىٰ بقاء الطائفة المنصورة، وفيه حديث أبي عنبة الخولاني عند ابن ماجه بسند جيد أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله يغرس في هٰذا الدين غرسا».

والمعنىٰ الثاني: معنىٰ خاص، وهو ما اصطلح عليه بعض أرباب التصوف من ترتيب المقامات الواصلين إلىٰ أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال وأغوات، فوضعوا اصطلاحات يرتب فيها مقام الواصل فيترقىٰ برتبة إلىٰ اعلىٰ منها، وهو بهٰذا المعنىٰ معنىٰ محدث.

والأحاديث التي وردت وفيها اسم (الأبدال) لا تخلو من ضعف، قد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ تحسينها، ولو قيل بحسن الأحاديث فإنها ترجع إلىٰ المعنىٰ الأول دون الثاني.

وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَ يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

....

هٰذا آخر التقرير علىٰ هٰذا الكتاب النافع نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا وإياكم علما نافعا وعملا صالحا.

وعدناكم أنه يوم الخميس إن شاء الله تعالىٰ نوزع عليكم شريط شرح كتاب التوحيد لابن رجب لأنه وقع في الإحالة كثيرا في درس الكلام المنتقىٰ علىٰ ما سبق شرحه في السنة....